العلاقات العلمية بين مصر والشام
إبان العصر العثماني

د. سليمان محمد حسين
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

ارتبطت مصر مع بلاد الشام بروابط سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة على مر التاريخ بحكم الجوار الجغرافي ووحدة الدين واللغة والعادات والسمات الحضارية المشتركة وفيما يتعلق بفترة الحكم العثماني فقد انصب اهتمام المؤرخين على دراسة العلاقات السياسية والاقتصادية في حين ظلت العلاقات الاجتماعية في حاجة للمزيد من الدراسة ولاسيما أن الدراسات الخاصة بهذا المجال اقتصرت على دراسة أوضاع الشوام في مصر بشكل عام دون النظر إلى طبيعة العلاقات العلمية بين مصر والشام الجانبين والتي تعكس بشكل واضح مدى التواصل العلمي وأثره على إثراء الحياة العلمية لدى الطرفين وقد كان هناك العديد من العوامل التي كانت بمثابة دعم الدول أدبيا وماديا.

دعائم التواصل العلمي بين مصر وبلاد الشام

١ – تبعية مصر والشام لحكم واحد في معظم العصور بما فيها العصر العثماني ، ودخول عدد كبير من الولايات العربية تحت الحكم العثماني والذي كان من أهم سماته عدم فرض قيود على حركة السكان بين الولايات العثمانية قد أتاح الفرصة أمام العلماء للتنقل بين المدن العربية والإسلامية بشكل عام والمدن الشامية والمصرية الكرى بشكل خاص في حرية واطمئنان ناهيك عن تواصل العلماء في مصر والشام مع علماء استنبول وغيرها من المدن العثمانية رغبة منهم في الاستزادة من المعرفة والاحتكاك بالعلماء الأتراك . اذ كانت الروح السائدة بين علماء ذلك العصر هي التنقل والترحال للتعرف على أفاق أوسع وأرحب عن المناطق التي نشئوا فيها .

٢ – تأصل روح التواصل العلمي بين العلماء في مصر والشام في الفترات التي سبقت مجيء العثمانيين . حيث تشير مصادر العصر المملوكي إلى عدد كبير من الطلاب الشوام الذين رحلوا الى القاهرة بغرض الدراسة في الأزهر الذي كان بمثابة منارة العالم الإسلامي ويضم العديد من الأروقة التي سميت بأسماء البلدان التل ينتمي إليها الطلاب الدارسين بها ومن بينها رواق الشوام الذي أنشأة السلطان الأشرف قايتباي(١) وهؤلاء الطلاب كانوا يتولون بعد تخرجهم من الأزهر وظائف هامة في بلادهم على رأسها الإفتاء والتدريس . في حين كان يطيب للبعض الآخر منهم البقاء في القاهرة والتدريس بالأزهر أو التدريس في مدارس القاهرة(٢) والمدن الكبرى كالإسكندرية ودمياط ورشيد .. ونذكر من هؤلاء إبراهيم بن على بن محمد بن أحمد بن حمزة الدمشقي تنزيل مصر الذي تخصص في علم الحديث وقام بمنح الإجازات العلمية ، وإبراهيم بن يونس الدمشقي الذي تخصص أيضا في علم الحديث بعد أن تعلم على أيدي علماء الشام والحجاز ومصر ، وأحمد بن إسماعيل بن احمد بن سعيد الحلبي الذي وفد إلى القاهرة وأصبح من كبار العلماء بها (٣).

وكذلك الشيخ جمال الدين أبو عبد الله بن محمد بن سليمان بن الحسين المقدس المعروف بابن النقيب الذي ولد بالقدس واشتغل بالقاهرة وأقام مدة في الجامع الأزهر ثم عاد الى القدس وكان له خمسين مصنفا في التفاسير في تسعة وتسعين مجلدا .. ونذكر أيضا العلامة نجم الدين الطوخي الذي سافر إلى القاهرة وقام بالتدريس في المدرستين الناصرية والمنصورية بدمشق وله تصانيف منها بغية السائل في أصول الدين ، ومختصر الروضة، وفي أصول الفقه ، ومختصر الحاصل في أصول الفقه ، والقواعد الكبرى والصغرى ، والإكسير في قواعد التفسير ، والرياض النواخر في الأشباه والنظائر وبغية الواصل في معرفة الفواصل (٤).

على الجانب الآخر نذكر مصادر المملوكي بعض أسماء المصريين الذين ذهبوا إلى بلاد الشام واستقروا بها وعملوا بالإفتاء والتدريس في مساجدها مثل على بن الحسن المصري المعروف بابن البناء الذي رافق الشيخ العراقي في رحلته الى بلاد الشام ، ونقل عن

علماء حمص وحماه وطرابلس وحلب ثم رحل إلى بغداد وبعد عودته منها استقر به المقام في دمشق وعمل بالوعظ بها [٥] .

وقد نتج عن هذا التواصل العلمي بين مصر وبلاد الشام وجود عدد من المؤرخين الذين استفادوا من التنقل والترحال ، ومعرفة أحوال البشر وأوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المدن المصرية والشامية ، ونذكر من هؤلاء المؤرخ أبو شامة المقدسي ٦٦٥ / ١٢٩٦م الذي ولد بدمشق في عام ٥٦٩ هـ / ١١٩٩م وتربى تربية دينية وانتقل إلى الإسكندرية وتتلمذ على يد كبار المشايخ بها وألف كتبا في الفقه واللغة ، واهم مؤلفاته كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية[٦] وكذلك المؤرخ ابن فضل الله العمري ت ٧٤٩/ ١٣٤٨م وهو أحمد بن محي الدين بن فضل الله بن يحيى بن عثمان القاضي شهاب الدين القدسي الأصل الدمشقي المولد والنشأة (كاتب السر بالديار المصرية) وهو من أسرة تولت ديوان الإنشاء بمصر على مدى قرن من الزمان ، وهو مثال الإداري الذي أرخ للجهاز الإداري لدولة سلاطين المماليك [٧].

والواقع أن النهضة الفكرية التي شهدها العصر المملوكي كان مبعثها حرص سلاطين المماليك على تشجيع العلماء والإكثار من المدارس والمساجد حتى يظهروا بمظهر حماة العقيدة الإسلامية العاملين على نشرها ، وذلك لينسى لهم رعاياهم ماضيهم الذي ارتبط بالرق ، فضلا عن اغتصابهم الحكم من بن أيوب ، كما أرادوا أن يظهروا بمظهر المشجعين للثقافة الإسلامية واللغة العربية ومن هنا رتب المماليك الأوقاف للصرف منها على المدارس والمساجد والمؤسسات الدينية والعلمية الأخرى [٨].

٣ – حب واحترام العثمانيين للعلماء على التواصل فيما بينهم وتقديم الدعم المالي والعيني لهم مما كان يشجعهم وفي ذلك يقول المؤرخ الحموي (ومن فضائل أل عثمان إجلال العلماء ، واعتقاد العلماء وإكرام أهل القرءان فلم ينقل عنهم ، ولم ير منهم إهانة احد من العلماء بخلاف غيرهم من الملوك (الخلفاء) [٩].

وقد اتخذ هذا الاحترام من جانب السلاطين خاصة بالاستقبالات الرسمية أو البروتوكولات داخل القصور السلطانية حيث تقدم السلطان العثماني ثلاث خطوات تجاه شيخ

الإسلام ويقبل كتفه تعظيما وإجلالا للعلم (١٠). وانطلاقا من هذه المكانة التي حظي بها العلماء فقد أبقى العثمانيون على الأراضي التي أوقفها السلاطين المماليك على هؤلاء العلماء وعدم المساس بها ، وقد نص على ذلك صراحة قانون نامه مصر الذي أصدره السلطان الثاني سليمان القانوني في عام ١٥٢٥م (١١) كما أبقى العثمانيون على أراضي الأوقاف المخصصة للصرف منها على علماء الأزهر والدارسين به من كل الجنسيات بما فيهم الشوام ، وكذلك الأراضي التي يصرف منها على المساجد والمدارس والزوايا وغيرها من المؤسسات الدينية والعلمية كما سيأتي تفصيله فيما بعد .

من جهة أخرى حطي العلماء في بلاد الشام وخاصة علماء القدس بمكانة متميزة لدى العثمانيين وتمثل ذلك في إغراق الأموال عليهم فيما سمى بأموال الصرة الشريفة والتي كان لهم فيها قدر معلوم نظرا لأهمية الدور الذي يقوم به هؤلاء العلماء في هذه المدينة المقدسة مثلما كان يحدث من إرسال هؤلاء السلاطين لأموال الصرة الشريفة لأهالي الحرمين الشريفين في مكة والمدينة (١٢).

وبالإضافة إلى الصرة السلطانية كان يرد الى مدينة القدس سنويا من قبل حكام مصر صرة أخرى تعرف باسم الصرة المصرية غير أن قيمتها كانت أقل من الصرة السلطانية ، كما ان المستفيدين منها كانوا اقل عددا ، وقد خصصت لفئة العلماء والمدرسين والأئمة ولا سيما العاملين بالمسجد الأقصى وقبة السخرة وبلغت قيمتها ٣٥ ألف يارة وتسجل أسماء المستحقين فيها بدفاتر خاصة (١٣) .

كما أشارت سجلات المحاكم الشرعية إلى صرة أخرى كانت تأتي من مصر لبعض العلماء والأئمة بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة عرفت باسم صرة وقف المرحومين سنان باشا ، واحمد باشا ، ويبدو أن المستفيدين من هذه الصرة هم الأشخاص أنفسهم المستفيدون من الصرة المصرية (١٤).

وجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قد أحدثت تغييرا في نظام إرسال الصرة السلطانية إلى القدس ، حيث كانت أموال هذه الصرة ترسل بأوامر الدولة من خزينة دمشق حتى عام ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م ولكن منذ ذلك التاريخ أمرت الدولة بإرسال هذه الأموال من القاهرة بدلا

من دمشق ، ثم ما لبثت أن عادت عملية صرف أموال الصرة مرة أخرى إلى دمشق وتكليف أمين الصر هبها بتسليمها إلى مستحقيها من العلماء وغيرهم من أهالي القدس (١٥).

وفي كل الأحوال كان علماء القدس يجتمعون عند وصول الصرة الشريعة مع بقية أعيان القدس مثل شيخ الحرم القدسي ، ونقيب الأشراف بالمدينة ويحررون محضرا أو وثيقة بتسليم المستحقين منهم نصيبهم في أموال الصرة (١٦).

والواقع ان احترام العثمانيين للعلماء وتقديم الدعم المالي والعيني لهم – على النحو سالف الذكر – كان دافعه الأساسي أن العلماء كانوا يمتلكون سلاح الفتوى ، وكان هؤلاء العلماء يدركون أهمية هذا السلاح عند السلطات العثمانية ليس على مستوى الوزراء والأمراء فحسب بل على السلاطين أنفسهم(١٧) فقد كرر كثير من العلماء في القرن الثامن عشر مقولة إن شرعية السلطة تقوم على الشريعة وتطبيق أحكامها والاستماع لنصائح العلماء . وعلى سبيل المثال أن الشيخ الدمنهوري أن الدولة أقرب ما تكون الى الخلافة الراشدة من حيث تمسكها بالشريعة ورعايتها للعلماء(١٨). تلك الرعاية التي كانت من بين دعائم التواصل بين العلماء في المدن العربية والاسلامية الكبرى وعلى رأسها مصر وبلاد الشام .

وعلى أية حال ، لم يكن احترام العلماء قاصرا على السلاطين وحدهم ولكن سار على نهجهم رجال الإدارة العثمانية والقوى المحلية في الولايات العربية ونذكر من ذلك العلاقة التي جمعت الشيخ محمد الخليلي وهو من أكبر علماء الشام بالوزير رجب باشا الذي تقلد عدة مناصب هامة في ولايات الدولة العثمانية من بينها حكمه لمنطقة ديار بكر بالعراق ، والقدس ، وحلب ، ودمشق ثم ولايته على مصر ، ثم عودته إلى حكم حلب مرة أخرى ، وقد أشاد الشيخ الخليلي بمواقف رجب باشا مع العلماء والفقراء وبخاصة المتصوفة منهم ، واهتمامه بعمارة المسجد الأقصى ، والمدرسة الصلاحية بالقدس وعدد من المؤسسات الدينية والعلمية الأخرى في دمشق ، في حين كان رجب باشا ينظر الى الشيخ محمد الخليلي نظرة إجلال واحترام واستمرت العلاقة الحميمة قائمة بين الرجلين بدليل أنه عندما أسندت ولاية مصر إلى رجب باشا في عام ١١٣٢هـ/١٧١٩م أرسل إلى الشيخ محمد الخليلي ، والشيخ البكري الصديقي طالبا منهما مرافقته إلى مصر(١٩) مما هيئا الفرصة أمام الشيخ

الخليلي للاحتكاك بعلماء مصر وقيامة بالتدريس في الجامع الأزهر ومنحه الإجازات العلمية لعدد من الطلاب المصريين فكان ذلك إضافة إلى رصيده العلمي بطبيعة الحال .

كما أشاد المرادي صاحب كتاب (سلك الدور في أعماق القرن الثاني عشر) بيوسف باشا الطويل احد باشوات دمشق وأمير موكب الحاج الشامي ، حيث ذكر بأنه كان محبا للعلماء والصالحين في دمشق ، وعندما وافته المنية في عام ١١٢٨هـ /١٧١٥م دفن بمقبرة مجاورة لمقبرة الشيخ محي الدين محمد بن عربي وهو من أشهر رجال التصوف وقد حرص الشيخ عبد الغني النابلسي على الصلاة على يوسف باشا وامتدحه في أبيات من الشعر علقت على قبره في لوحة من الرخام جاء فيها :

مات في الشام حاكم قدره في الورى كبير

جاء تاريخنا له بيت شعر له قصر

رحم الله محبنا يوسف باشا الوزير(٢٠)

ويشير العياشي في رحلته المساه (بماء الموائد أو الرحلة العياشية) بأن حاكم غزة أراد أن يوفر له الحماية والأمن في سيره من غزة إلى مصر حيث أرسل إلى الأغا المسئول من الأمن في خان يونس ، وكذلك إلى الأغا المسئول عن الأمن في العريش بأن يتكفلا برعايته أثناء الطريق وحمايته من هجمات البدو(٢١) .

أما الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب الرحلة المساه (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز) فقط أفاض في حب واحترام رجال الحكم في مصر له ، واستضافته في قصورهم خلال مدة وجوده في مصر حتى رحيله عنها وهو ما سوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد .

ويبقى أن نقول في هذا السياق أن حب العثمانيين للعلماء وتقديم الدعم المالي والعيني لهم ، وكذلك توفير الأمن والحماية لهم قد ساعد بشكل كبير في حرية الحركة والتنقل والتواصل بين العلماء في جميع الولايات العثمانية بشكل عام وعلماء مصر والشام بشكل خاص .

دور المؤسسات الدينية والعلمية في مصر والشام

أولا : في مصر – الأزهر الشريف :

حظي الازهر الشريف بمكانة كبيرة في نفوس المسلمين باعتباره أكبر وأعرق مؤسسة دينية وعلمية في العالم الاسلامي وقد أفضى هذا بطبيعة الحال الى وجود نوع من الترابط والتواصل بين مركز الثقل العلمي الذي يمثله الازهر في القاهرة وبين الأطراف ونعني بها المدن العربية والاسلامية . حيث نظر الطلاب الدارسون من أبناء هذه المدن الى الأزهر الشريف الذي تعلموا في رحابه نظرة مهابة واحترام ، وحرص عدد منهم على العودة الى بلادهم على تكرار الزيارة للأزهر للإستزاده من تحصيل العلم . وقد نتيج عن ذلك نسج خيوط علاقة قوية قائمة على الوفاء والمحبة بين هؤلاء الطلاب وبين أساتذتهم من علماء الأزهر .

وقد كان الشوام من أكثر الوافدين على الأزهر بحكم الجوار الجغرافي ، والروابط الحضارية والثقافية المتعددة التي تربط مصر والشام منذ أقدم العصور .

ولاشك أن الطلاب الشوام قد استفادوا شأنهم شأن غيرهم من الطلبة المجاورين المنتمين الى البلدان الاخرى من نظم التعليم في الأزهر والامتيازات التي يقدمها لهؤلاء الطلاب ، ومنها تعدد العلوم النقلية والعقلية وتنوعها حيث وصلت العلوم التي تدرس بالازهر الى واحد وعشرين علم(٢٢) وحرية الطالب في دراسة ما يشاء من هذه العلوم دون تقيده بالدراسة على علوم معينة فضلا عن استفادة هؤلاء الطلاب من الامتيازات التي يقدمها الازهر ومنها الاقامة الدائمة بالمجان طوال السنوات التي يقضيها الطالب في تحصيل العلم في رحابة(٢٣) فضلا عن الجو العام الذي يعيشه الطلاب من تشجيع الباشوات العثمانيين المحبين للعلم وكبار العلماء والاجتماع بهم في جلسات علمية وتقدير دورهم التعليمي من الأزهر ، واحترام كبار المماليك لمشايخ الأزهر فضلا عن العلاقة الطيبة التي كانت تربط العلماء ببعضهم من جهة وعلاقتهم بالطلاب من جهة أخرى(٢٤) .

كما استفاد الطلاب الشوام وغيرهم من المجاورين من حجم الإنفاق على الأزهر من الأوقاف التي أوقفها سلاطين وامراء سابقين في فترات سابقة ، ناهيك عن الأوقاف التي أوقفها افراد المجتمع لإدراكهم بمكانة الأزهر وأهميته العلمية فتباروا في رصد أوقافهم على الأزهر دون تخصيص رواق بعينة وهناك من رصد أمواله على مطبخ الأزهر لتجهيز ما يحتاجه الطلبة من طعام ، فضلا عن اتجاه بعض الواقفين الى رصد أموالهم على مكتبات الأزهر بصفة عامة[٢٥] ناهيك عن الأوقاف التي أوقفها التجار الشوام على الأزهر بشكل عام أو على رواق الشوام بشكل خاص ومن أشهر هؤلاء التجار اسماعيل أبو طاقية شاه بندر التجار وسار على دربه عدد من التجار الشوام[٢٦] بخان الحمزاوي الذي يحتوي على نسبة كبيرة من الشوام وهو ما جعل الرحالة الشيخ عبد الغني النابلسي يحرص على زيارة هذا الخان بعد زيارته لطلاب وعلماء الأزهر هذا بخلاف بخان الخليلي والجمالية وباب النصر كما تركزت اعداد كبيره منهم في المدن الكبرى بالاسكندرية والمنصورة والمحلة الكبرى ودمياط بصفة خاصة باعتبارها اقرب الموانئ المصرية الى الشام [٢٧] .

وبالنسبة لطريقة التحاق الطلاب الشوام بالازهر فليس لدينا معلومات عما اذا كان هناك كشف طبي يوقع على هؤلاء الشوام وغيرهم من الجنسيات الاخرى كما كان يحدث مع الطلاب المصريين وفقا لما ذكره الرحالة الفرنسي فرمنال[٢٨] أم لا ، وان كنا لا نرجح ذلك .

ونظرا لكثرة أعداد الدارسين بالازهر من مختلف المدن الشامية فقد أنشأ السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (٨٧٢ – ٩٠١هـ / ١٤٦٨ – ١٤٩٦م) رواق خاص بالطلاب الشوام ، ثم قام بتوسعته الأمير عثمان كتخدا القازدوغلي[٢٩] وأوقف الأوقاف في عام ١١٤٨خ، : ١٧٣٥م على الأزهر بشكل عام وعلى رواق الشوام بشكل خاص ، ثم حدثت توسعة أخرى لهذا الرواق على يد الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وخصص له ايضا أوقاف للصرف منها على الدارسين به[٣٠] هذا بخلاف ما أوقفه عليه الأمير محمد باي حاكم ولاية تونس في عام ١١٠٥هـ ١٦٩٣م[٣١] وهذا الرواق يقع على يمين الداخل الى الأزهر من جهة باب الشوام ، ويشتمل على ايوانين متسعين غطيت أرضهما بالبلاط وشيدت في اعلاهما مساكن للطلبة ، وقد بلغ عددها زهاء ثلاثين مسكنا ، وبالرواق خزانة كتب يشرف عليها قيم وبلغ عدد محتوياتها ٢١٠٠ مجلد ، وكانت الاستعاره الخارجية للكتب متاحة لطلبة

جميع الأروقة بالازهر بعد أن يستوفى طلبة رواق الشوام حاجاتهم من الكتب أولا . وفي الرواق بئر وصنابير داخلية ومكان للتعبد ومطبخ ، وكان يعمل فيه أيضا شخص مهمته تحصيل ايراد الأوقاف المخصصة للرواق ، كما عين بالارواق كانت وبواب وسقاء(٣٢) .

ويعتبر رواق الشوام من أكبر الأروقة وأكثرها ازدحاما بالطلبة ويبلغ مقدار الجراية التي تصرف لهم كل يومين ٨٥٦ رغيفا ، كما كانت تصرف لهم مرتبات نقدية أول كل شهر هجري(٣٣) .

والواقع أن صرف الجراية أو الخبز للطلاب المجاورين بالأزهر كان حقا ثابتا لهم وبالتالي لم يقبلوا باي حال من الأحوال حرمانهم من هذا الحق حيث يذكر لنا الجبرتي ما حدث من الطلبة الشوام وبعض المغاربة بسبب ثورتهم على الشيخ العروسي شيخ الأزهر بسبب الجراية ومنعوه من الخروج من الجامع الأزهر وهم يصحيحون في وجهه فرجع الى رواق المغاربة وجلس به الى الغروب ثم تخلص منهم وذهب الى بيته واستمروا في اغلاق الأزهر وامتدت تورتهم الى السوق خارج الأزهر وأمروا الناس بغلق المحلات التجارية (الدكاكين) ، وحاول الشيخ العروسي ايجاد مخرج لهذا المأزق فذهب الى على بك شيخ البلد ولكنه لم يفعل شيئا وفي محاولة اخرى لحل الأزمة اصطحب الشيخ العروسي مع بعض المشايخ وذهبوا للباشا للتدخل ولكن رأيه كان تأديب الطلبة الشوام والمغاربه ونفيهم فرفض المشايخ هذا الراي ، وذهبوا الى على بيك الدفتر دار بصفته الناظر على الجامع الأزهر(٣٤) الذي تدخل بدوره لدى اسماعيل بيك الذي أمر بانهاء هذه المشكلة وصرف الخبز للطلبة الشوام والمغاربة(٣٥) .

وكانت مشيخة الرواق ونظارة أوقافة توكلان الى احد علماء الأقليم الذي ينتمي اليه، فرواق الصعايده يجب ان يكون شيخه من أهل الصعيد ، ورواق الشوام يجب ان يكون شيخه من أهل الشام وكان يفضل عند اختيار شيخ الرواق يتم بعد عقد اجتماع بين الطلاب يتفقون فيه على الشخص الذي يرغبون فيه بأن يكون شيخا لرواقهم ، وغالبا ما يكون الاختيار لآفضل القاطنين علما وروعا بالاضافة الى كبر سنة وما الى ذلك من الصفات التي تؤهله لمشيخة الرواق ومن بين الأسماء التي شغلت منصب شيخ رواق الشوام الشيخ

عبد اللطيف الدمشقي ، والشيخ شهاب الدين أحمد ، والشيخ أحمد القالوجي[٣٦] والسيد الشريف الشيخ محمد الشافعي ، والشيخ محمد البيتماني[٣٧] .

وكان لشيخ رواق الشوام كغيره من الأروقة وكيل يطلق عليه النقيب [٣٨] وكان يحتفظ بسجلات الرواق ، وتضم أسماء الطلبة المقيمين فيه واسم البلده أو القرية التي أتى منها ، وتاريخ التحاقة بالرواق ، والدراسات التي يتلقاها كل منهم ، ،اسماء المشايخ الذين يتلقى على أيديهم العلم ، وما الى ذلك من معلومات وافيه ، وكان النقيب يشرف على اعمال الجابي والكاتب ، ويحضر توزيع الجراية والهبات والعطايا على طلبة الرواق ويعد مسئولا عن المكتبة القائمة في الرواق على الرغم من وجود قيم لها ، ويشرف على المطبخ وسائر مرافق الرواق وخدمة [٣٩] .

وهؤلاء النقباء كان يتم اختيارهم بمعرفة وموافقة كبار العلماء في الجامع الزهر ، ويعتمد وظائفهم قاضي القضاه ، ويحدد لكل نقيب أعماله التي سيؤديها في الرواق [٤٠] .

أما فيما يختص بمشيخة الأزهر فكانت بطبيعة الحال يشغلها أكثر الشيوخ المصريين علما وخبره وسنا وغير ذلك من الصفات التي تؤهل صاحبها لتولى هذا المنصب الرفيع ، غير أن نفوذ الشوام في الأزهر وكثرة أعدادهم جعلت أحد كبار العلماء منهم يتطلع لاعتلاء هذا المنصب والمنافسه من أجل تحقيق رغبته بكل السبل . وقد حدث ذلك بعد وفاة الشيخ أحمد الدمنهوري شيخ الأزهر في عام ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م حيث بدأ النزاع على تولي مشيخة الأزهر بين الشيخ عبد الرحمن العريشي شيخ رواق الشوام وبين الشيخ العروسي أحد علماء الشافعية المصريين ، وتدخل الأمراء المماليك الذين كانت السلطة في ايديهم في ذلك الوقت في ظل ضعف الدولة العثمانية – في هذا الصراع حيث كان ابراهيم شيخ البلد يناصر الشيخ عبد الرحمن العريشي ، وحضر معه الى الجامع الأزهر ومعه عدد من الفقهاء والمشايخ ووسط هذا الجمع اخبرهم الشيخ عبد الرحمن العريشي أن الشيخ الدمهوري أقامه وكيلا عنه ، ثم توفى الشيخ الدمنهوري بعد ذلك بعدة أيام فتم تعيين الشيخ عبد الرحمن العريشي شيخ رواق الشوام شيخا على الأزهر بهذه الطريقة خاصة ان الشيخ السادات ومعه عدد من الشيوخ كانوا يناصرونه . ولكن هذا الأمر لم يلق قبولا لدى علماء الشافعية فجمعوا كبرائهم وكتبوا عرضحال للأمراء المماليك مضمونه ان مشيخة الأزهر من مناصب الشافعية

وليس للحنفية منذ فترة طويلة ، وان الشيخ عبد الرحمن العريشي غير مصري ، وهناك من علماء اشافعية المصريين من هو أحق بذلك علما وسنا . ولم يلبث هذا الصراع ان تفاقم . اذ كان من الصعب ان يتخذ كبار المماليك قرارا بتعيين الشيخ العريشي ثم يبطله العلماء ، واصر هؤلاء الأمراء على بقاء الشيخ عبد الرحمن العريشي في منصب مشيخة الأزهر . وزاد من تفاقم الأزمه ان العلماء الشوام تعصبوا للشيخ العريشي باعتباره شامي مثلهم ، وانضم اليهم العلماء المغاربة في هذا الموقف لان شيخهم كان من مناصري الشيخ العريشي ، واستمرت هذه التنة داخل الأزهر لمة سبع شهور(٤١) .

ولم تكن ذلك الواقعة الوحيدة التي ظهر فيها نفوذ الشوام في الأزهر . فيذكر لنا الجبرتي حادثة هجوم الطلبة الشوام على الطلبة الآتراك وضربهم وقتل واحد منهم وهروب القتلة مما دفع ابراهيم بيك شيخ البلد للتدخل بهدف القضاء على هذه الفتنة داخل الأزهر حيث استدعى الشيخ العريشي بصفته المسئول عن الطلبة الشوام وكلفة باحضار القتله كما امر باغلاق رواق الشوام وخصم مائة رغيف يوميا من الجراية المخصصة لهم تعطي للطرب الأتراك كنوع من الترضية لهم . وتم تحرير محضر بذلك وفتح رواق الشوام من جديد . اما الشيخ العريشي شيخ الأزهر فقد وجهت له تهمة التستر على الطلبة الشوام من بن جنسه ، وتم عزله من المشيخة وتحديد اقامته ، وعادت مشيخة الأزهر مرة أخرى الى أحد العلماء المصريين التابعين للمذهب الحنفي كما كانت العادة من قبل ، وقد أثرت تلك الحادثة تأثيرا سيئا على الشيخ العريشي فمات قهرا(٤٢) وبذلك يمكن القول ان هذه المشكلة هي التي انهت الصراع على مشيخة الأزهر لانها كانت سببا في عزل الشيخ العريشي وعودة المشيخة مرة أخرى للعلماء المصريين التابعين للمذهب الشافعي .

وهما يكن من أمر فقد كان من عادة الشوام اذا أتم الواحد منهم عرضه ، وأراد السفر الى بلاده ، ان يدعوا أصدقاءه ومحبيه من الطلبة والمشايخ ، وقد أوقد لهم الرواق بالشموع وفرشه بقدر حاله فيجتمعون عنده الى ما شاء الله من الليل ، ويطاف عليهم بالقهوة والشربات ، وينشدون بالمجلس قصيده أو اكثر تشتمل على مدحه والتنويه بغزارة علمه وكثرة فضله ثم ينصرفون(٤٣).

المدارس: وكانت المدارس من المؤسسات العلمية التي عمل بها بعض الشوام من خريجي الازهر ، نظرا لان هذه المدارس كانت امتدادات سكانية للأزهر ، حيث يتصدر

كبار علماء الأزهر الحلقات الدراسية التي تعقد في هذه المدارس وهذه المدارس كانت ملحقة بالمساجد سواء في القاهرة أو في المدن الكبرى مثل طنطا ودسوق والإسكندرية ورشيد والمنصورة والمحلة الكبرى والفيوم وأسيوط ، وكان نمط الدراسة في هذه المدارس يسير على نمط الدراسة في الأزهر(٤٤).

ثانيا : دور المؤسسات الدينية والعلمية في بلاد الشام :

اذا كانت المؤسسات الدينية والعلمية في مصر وعلى رأسها الأزهر الشريف قد اجتذبت العلماء وطلاب العلم من الشوام فان المؤسسات الدينية والعلمية في بلاد السام قد أسهمت الى حد كبير في التكوين العلمي لهؤلاء الشوام الذين تخرجوا من هذه المؤسسات وتحملوا عبئ الإفتاء والتدريس في بلادهم . وهناك من طلب منهم الاستزادة في العلم والتواصل مع كبار العلماء بالأزهر لتوسيع مداركهم والتخصص في علم بعينه بعد أن تكونت لديهم أسس الحرفة في العديد من العلوم في المؤسسات الدينية والعلمية في بلادهم ومن أهم هذه المؤسسات :

١ – المسجد الأموي :

قامت مساجد دمشق بمهامها التدريسية الى جانب مدارسها ، كجامع المدارس والدرويشية والسلمانية والسليمانية والسنانية ..... وغيرها الا أن أهم المساجد على الإطلاق في هذا المجال كان المسجد الأموي نظرا لمعرفته واتساعه وكثرة اوقافة ومدرسيه ، وتعدد حلقات التدريس . في أرجائة وكانت هذه الحلقات تعقد في صحنه وأروقته وداخل حرمه ، واهم حلقاته التدريسية مما كان تحت قبة النسر التي

كانت موقوفة لأعلم علماء دمشق ، واعتبرت الدراسة تحتها بمثابة المرحلة العليا من الدراسة ، وكان الدمشقيون يتزاحمون على التدريس ، ويشمل التدريس به عددا من المواد(٤٥).

٢ – المسجد الأقصى :

على الرغم من أن الأزهر الشريف قد اجتذب العديد من الطلاب الشوام للتعلم الا ان المسجد الأقصى قد قام بدور كبير في إعداد الأئمة والخطباء الذين درسوا فيه مختلف

العلوم على يد نخبه من كبار العلماء ولا سيما أن المسجد الأقصى كان مقصدا لكبار العلماء من سائر الأقطار الإسلامية الذين استمتعوا بزيارته وقاموا بالتدريس فيه طيلة الفترة التي كانوا يقضونها في القدس ومن هؤلاء الشيخ عبد الغني النابلسي الذي قام برحلته الى القدس في عام ١١٤٣هـ ١٧٣٠ حيث أسمي رحلته (موانح الانسي برحلتي لوادي القدس) ومن كبار العلماء الذي درسوا في المسجد الأقصى الشيخ محمد الخليلي أشهر علماء الشام على وجه الإطلاق ، والشيخ مصطفى البكري الصديقي ، والشيخ محب الدين بن عبد الصمد شيخ الحرم القدسي ، والشيخ محمد المغربي التافلاتي الذي قدم من المغرب الأقصى الى القدس في عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م بعد أن زار مصر والحجاز واليمن وغيرها من البلدان ، وقام بالتدريس في الحرم القدس الشريف الى جانب الكثير من العلماء الذين يمحوا وجهم ناحية المسجد الأقصى (٤٦).

ومما شجع هؤلاء العلماء على البقاء في المسجد الأقصى وجود كثير من المكتبات العريقة في مدينة القدس ، وكان أشهرها مكتبة المسجد الأقصى بالإضافة الى العديد من المكتبات الأخرى مثل مكتبة الشيخ محمد بن بدير وهو من علماء القدس البارزين في القرن الثامن عشر . ومكتبة الشيخ عبد المعطي الخليلي ، ومكتبة السيد حسن بن عبد اللطيف الحسيني نقيب السادة الاشراف بالقدس وشيخ الحرم بها ، وغيرها من المكتبات التي أوقفها أصحابها من العلماء على المسجد الأقصى بهدف أن يعود نفعها على العلماء والطلاب وهكذا ظل المسجد الأقصى مركز إشعاع ثقافي يرتاده العلماء من مختلف البلاد لينهلوا من العلم ما يستطيعون (٤٧) وقد ذكرت لنا المصادر أسماء عده من العلماء المصريين الذين زاروا المسجد الأقصى ونهلوا من علمه كما سيأتي تفصيله فيما بعد .

٣ – المدارس :

انتشرت المدارس في بلاد الشام بشكل كبير بدليل ان المؤرخ حسن عبد اللطيف الحسيني ذكر ف كتابه تراجم أهل القدس إحدى وثلاثين مدرسة في بيت المقدس وهدها . هذا بخلاف الزوايا والمكتبات التي كانت تعتمد عليها هذه المدارس في الحركة العلمية(٤٨). ومن المعلوم أن ذلك كان راجعا في المقام الأول لما تتمتع به هذه المدينة من مكانة مقدسة وهنا تجدر الإشارة الى ان هذه المدارس لم تستحدث في العصر العثماني ولكن الكثير منها

كان من منشآت العصرين الأيوبي والمملوكي ثم أضيفت إليها مدارس أخرى أنشئت في العصر العثماني .

وكان الإنفاق على هذه المدارس من متحصلات أوقاف السلاطين والأمراء والحكام السابقين على العصر العثماني أو المعاصرين له . وهذه الأوقاف كانت تدر دخلا كبيرا على هذه المدارس بدليل ان احدى هذه المدارس (المدرسة الظازية) التي أنشأها الامير المملوكي سيف الدين طاز في حي باب السلسلة بالقدس في عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م كان محصول غلال أوقافها عن سنة واحده وهي سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م مبلغ قدره ١٠٩٢٩ قطعة فضية سليمانية ، وفي نفس العام كان عدد العاملين بها اثني عشر موظفا (٤٩).

وكان القائمون على هذه المدارس وإدارتها وكذلك القائمون على ادارة أوقافها يتم تعيينهم من قبل الدولة ، وخاصة شيوخ المدارس ونظار أوقافها الذين كانوا يعينون بموجب فرمانات سلطانية تصدر من السلطان العثماني (٥٠).

والواقع أن هذه المدارس مع غيرها من مدارس دمشق وحلب وبقية المدن الشامية كانت تمثل القاعدة العلمية للعلماء الشوام الذين انطلقوا منها بعد تخرجهم للإفتاء والتدريس والخطابة في مساجد ومدارس بلاد الشام في حين فضل البعض منهم التواصل العلمي مع مصر والاستفادة من كبار العلماء بالأزهر الشريف .

٤ – دور الرحلات في التواصل العلمي بين مصر وبلاد الشام

ذكرنا فيما سبق ان حرية الحركة والتنقل بين البلاد العربية كان سمة من سمات العصر العثماني على اعتبار ان الكل كانوا رعايا الدولة العثمانية دون وجود فواصل او عوائق تعوق التواصل بين الشعوب العربية . وكان ذلك باعثا قويا على تشجيع العلماء على التنقل بين المدن العربية الكبرى بهدف الاستزادة في العلم ، واكتساب خبرات جديدة عن طبائع الشعوب الأخرى وزيادة المزارات الدينية وغيرها من فوائد السفر والترحال .

وتعد الرحلات العلمية في العصر العثماني دليلا قويا على مدى التواصل العلمي بين مصر وبلاد الشام والحجاز والمغرب واليمن وغير ذلك من الدن العربية . وبالنسبة للرحلات بين مصر وبلاد الشام فإنها لم تقتصر على جانب دون الآخر ولكنها كانت

رحلات قام بها رحاله شوام الى مصر ، ورحالة مصريون الى بلاد الشام . وزاد من قيمة هذه الرحلات أنها قدمت لنا مادة علمية في الحياة الثقافية والعلمية في مصر والشام ومن أهم الرحالة الذين قاموا بهذه الرحلات :

١ – عبد الغني بن إسماعيل النابلسي : وهي الرحـلة المسماة (الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز) ويعتبر النابلسي واحد من أعظم الوجوه الصوفية التي أحرزت شهره كبيره في العالم الإسلامي وخاصة في بلاد الشام . ولد عبد الغني النابلسي في دمشق سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م وتوفي فيها سنة ١١٤٣/ ١٧٣١م وخلف وراءه عددا هائلا من المصنفات ربما بلغت ثلاثمائة مصنف .

نشأ النابلسي في أسره عرفت بالتدين والتواصل العلمي مع مصر فقد ولد عبد الغني النابلسي في شهر ذي الحجة ١٠٥٠هـ خلال غيبه والده بمصر اذ كان والده قد ذهب إليها طالبا للعلم والأخذ العلماء المصريين من أمثال الشيخ أحمد الشوبري الحنفي ، وتتلمذ على يد شيخ الإسلام والشيخ حسن الشرنبلالي . ويعد إجازة علماء مصر في الإفتاء والتدريس ذهب الى القسطنطينية واصبح مدرسا في مدرسة السلطان سليم في دمشق بالإضافة الى تدريسه في المسجد الأموي [٥١] والمؤلف من القدس ، ثم انتقل جده إبراهيم الى مدينة نابلسي فاشتهر بالنابلسي ثم هاجرت الأسرة الى دمشق وانضم عبد الغني النابلسي الى الطريقة النقشيندية ، وانصرف الى الرحلات في الآفاق وألف عددا من كتب الرحلات ، فقد زار لبنان ، وبعدها زار القدس والف كتابه المسمى (الحضرة الانسية في الرحلة القدسية) وفي ١١٠٥هـ / ١٧٠٠م زار طارابلس وألف كتابة (التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية) وبهذه الرحلات المتكررة أصبح النابلسي من مشاهير الرحالة في بلاد الشام[٥٢].

والذي يهمنا هنا الحديث عن الرحلة التي قام بها والمسماه (الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر الحجاز) وقد بدأ النابلسي رحلته يوم الخميس غرة المحرم ١١٠٥هـ/ ١١ أغسطس ١٦٩٣م وانتهى منها في الخامس من صفر ١١٠٦هـ/ ٢٢ أغسطس ١٦٩٤م فتكون رحلته قد استغرقت ٣٨٨ يوما قضى منها ٩٩ يوما في الطريق من دمشق الى حدود مصر الشرقية ، ثم قضى في مصر ٨٣ يوما ، ثم قضى ٥٤ يوما في

الطريق من مصر الى الحجاز ، ثم قضى ١٠٩ يوما في البلاد الحجازية ، ثم قضى ٤٣ يوما في طريق عودته من الحجاز الى الشام (٥٣) .

وفيما يختص بالجزء الخاص من الرحلة الى مصر فيمكن القول ان المؤلف نزل مدة أقامته في مصر ضيفا على الشيخ زين العابدين البكري شيخ السادة البكرية في مصر نظرا للعلاقة الوطيدة التي كانت تربط النابلسي بالبيت البكري في بلاد الشام ومصر . ومما يدل على قوة هذه العلاقة أنه عندما تعرض النابلسي كغيره من العلماء والاشراف لطغيان العسكر العثمانية في دمشق ترك منزله الذي نشأ به في سوق العنبرايين المواجه للجامع الاموي وانتقل الى سفح قاسيون حيث بنى له دار بسيطة من الطوب اللبن ، ويبدو أن المولى اسعد افندي البكري قد رأى أن هذه الدار لا تليق برحل في مكانة النابلسي فمنحه قطعة أرض من بستانه في مواجهة المدرسة العمرية في منطقة الصالحية قرب دمشق فعمرها وأقام فيها حتى وفاته (٥٤).

وهناك من بين افراد البيت البكري في دمشق من تلقى العلم على يد الشيخ النابلسي كان يحمله ويحترمه ويمتثل لأوامره كالشيخ مصطفى بن كمال الدين بن على البكري الذي كان نجله ويحترمه ويمتثل لأوامره ومن ذلك أنه قطع رحلته وعاد من بغداد بمجرد ارسال الشيخ النابلسي خطاب له يحثه فيه على العودة الى دمشق .

وبالنسبة لعلاقة الشيخ عبد الغني النابلسي بالشيخ زين العابدين البكري شيخ السادة البكرية في مصر فقد توثقت هذه العلاقه منذ فترة طويلة على رحلة النابلسي الى مصر بدليل ان الشيخ البحري أعد العدة لهذه الزيارة قبل قدوم النابلسي الى مصر وأرسل الى أحد نوابه في الخانكة ويدعى السيد الشريف احمد الميقاتي ، وكلفة بأن يكون في استقبال الشيخ النابلسي ، وان يكون معه في هذا الاستقبال جماعة من أتباع الشيخ البكري ، وظل هذا الجمع في انتظار النابلسي ورفاقه لمدة ثلاثة ايام حتى وصوله (٥٥).

وفي مساء اليوم الذي وصل فيه النابلسي الى الخانكة اجتمع بالشيخ عبد اللطيف الكمالي مفتي الشافعية بالخانكة الذي راسل بدوره الشيخ زين العابدين البكري يخبره بوصول النابلسي واستقباله له . وقد اصطحب اتباع الشيخ البكري الشيخ النابلسي حتى دخوله

القاهرة حيث استقبله الشيخ البكري في منزله بالأزبكية . هذا المنزل الذي حاز شهره كبيرة في تلك الفترة اذ كان مقصد العلماء المشارقة والحجاج المغاربة من مريدي الشيخ البكري ، وقد اتسم هذا المنزل بجماله وفخامته بحكم موقعه على بركة الأزبكية التي أشاد بجمالها النابلسي وغيره من المؤرخين (٥٦).

وقد ضم الاجتماع الأول الذي جمع الشيخان عددا من اصدقاء النابلسي من الأدباء والمؤرخين الشوام وعلى راسهم محمد أمين المحبي الشامي والشيخ شاهين بن فتح الله .

وقد ذكر النابلسي ان الشيخ البكري أنزله في منزل له ملاصق لمنزله المقيم فيه ليكون تحت رعايته الدائمة هو ومرافقية . كما هيأ له في هذا المنزل جميع ما يحتاج اليه من الأثاث والأمتعة ، ويصف لنا النابلسي ذلك المنزل بأن به (قاعة معلقة عالية لها شباك كبير مطل على مجلس الشيخ البكري ، ولها باب مطل على منزله ، وباب مستقل من زقاق أخر كبقية الدور . وعين لنا ما يكفينا ويكفي جماعتنا والدواب التي معنا من أنواع الطعام في كل يوم من هاتيك الايام حتى عين لنا حفظه الله تعالى قناديل الزيت والشمع العسلي وبن القهوة والصابون وزير الماء والحطب والسكر ومربى الليمون وغير ذلك مدة اقامتنا عنده وفرش لنا المنزل وهيئا الدثار وعمل الكسوة لنا ولجماعتنا(٥٧).

ويروي لنا النابلسي برنامج لقاءه اليومي هو ومرافقية بالشيخ البكري فيقول (وكنا نتملى بكرة وعشية بباهي طلعته المنيفة فلا تدخل عليه الا بأذنه وإرسال رسوله .. فيرسل الينا وقت الصباح بعد ارساله الفطور اللطيف . فنذهب لنمكث عنده الى ان يحضر الغذاء ونتغدى معه في مجلسه المنيف ثم نعود الى مكاننا فيحضر عندنا العشاء على العادة ثم يرسل الينا في وقد العشى لاجل المذاكرة والإفادة . ونبقى معه في مطالعة علمية ومطارحات أدبية الى أن يمضي من الليل نحو الثلاث والأربع ساعات رملية ثم نعود الى منزلنا مع جماعتنا ونبات فيه . وهكذا كانت أيامنا معه المباركة ولياليا واليوم الذي نذهب فيه الى التنزه يخبرنا عنه من الليل ويعين الجهة (٥٨).

ومن خلال النظرة التحليلية لرحلة النابلسي نجد أن البرنامج الخاص بها كان يرتكز على عدة محاور هي :

أولا : اللقاءات التي جمعته برجال الحكم والإدارة في مصر بحكم العلاقة الوطيدة التي كانت تربطه بالشيخ البكري ، ونزوله ضيفا عليه قد أتاحت له الفرصة بهذه اللقاءات التي حطي فيها بكل مودجة واحترام وترحيب من قبل هؤلاء الحكام المتميزة في المجتمع المصري في ذلك الوقت وقد كانت بداية هذه اللقاءات بالباشا في الأيام الأولى لوصول النابلسي الى مصر ، اذ كان من عادة الباشا ان يجتمع مع الشيخ البكري في يوم السبت من كل اسبوع في أماكن مختلفة ، وكان النابلسي يذهب مع الشيخ البكري لحضور هذه الاجتماعات بدعوى من الباشا ، واستمر هذه الأمر طيلة وجود النابلسي في مصر حيث كانت تجري في مجلس الباشا المناقشات العلمية ، والتعرض لبعض الامور الفقهية الى جانب الحديث فيما يخص بعض الامور المتعلقة بالحكم والرعية ، ويعترف النابلسي أنه كان ينصح الباشا في بعض الامور ويجارية في البعض الامر من قبيل القول القائل (ودارهم ما دمت في ذرهم ، وارضهم ما دمت في أرضهم ، وحيهم ما دمت في حيهم ، فان المشافهه بالزواجر اصعب على النفوس من ضرب الخناجر . خصوصا في مخالطة الاكابر) [٥٩] .

وفي مجالس مشابهه لما كان يحدث في مجلس الباشا ، اجتمع النابلسي والبكري ببعض الشخصيات المتنفذه مثل اغا مستحفظان [٦٠]. وكبار الأمراء المماليك ، وعلى رأسهم مراد بيك ، ،ابراهيم بيك ، وإسماعيل بيك الدفتردار ، حيث يتم التباحث في الأمور العلمية والفقهية ، فضلا عن المناقشات الأدبية ، وسماع الشعر والموسيقى والطرب ، وغيرها من أنواع الترف وما يصحب ذلك من إقامة المآدب والولائم ، وهذه المجالس كانت تعقد في قصور رجال الحكم في القاهرة او في القصور المملوكة لهم في ضواحيها .

والواقع ان احترام الأمراء للشيخ النابلسي (الشيخ البكري وبقية العلماء كان يأتي في إطار السياسة العامة التي اتبعها هؤلاء الأمراء تجاه المشايخ والعلماء بهدف التقرب إليهم لكي يغضوا الطرف عن المسالب التي كان يقوم بها الامراء المماليك تجاه الرعية من جور وسلب ونهب ويدعم وجهة نظرنا في هذا الموضوع ان النابلسي يذكر لنا ان هؤلاء الأمراء كانوا يرسلو عددا من فرسانهم قد يصل الى المائة فارس ليكونوا في حراسته هو والشيخ البكري ومن برفقتهم في ذهابهم الى مجالس الأمراء خارج القاهرة ، وحراستهم في طريق العودة للقاهرة مرة أخرى . وفي ذلك يقول (ثم حين قاربنا الوصول الى ثلث المسافة واذا

بمراد بيك خرج لملاقاتنا مع جماعة نحو مائة فارس ، وهم يركضون أمامنا وخلفنا بخيولهم حتى وصلنا وصعدنا الى ذلك القصر العالي المطل على تلك الجهات المطلقة) (٦١) ثم يستطرد قائلا وعصدنا المسير فركبنا الخيول وركب معنا مراد بيك وجماعته وسرنا كالسيول ومشوا معنا نحو ساعة ثم ودعناهم وعادوا) (٦٢).

وعندما عزم النابلسي على الرحيل من مصر الى الحجاز كان من الطبيعي ان يلجأ الى إبراهيم بيك أمير الحاج ليقدم له الدعم الأمني والنصح والإرشاد لتفادي مخاطر الطريق. ولم يتوان ابراهيم بيك من استصدار مرسوم من الباشا في شكل خطاب موجه الى مشايخ العربان والقرى وحكام الموانئ بتقديم العون والمساعدة للشيخ النابلسي ومرافقته طوال رحلته من مصر الى الحجاز (٦٣).

ومن جانبه حرص الباشا على توديع النابلسي بعد أن أخبره الشيخ البكري بموعد الرحيل ومن أجل ذلك قام بتغيير برنامجه والذهاب لمقابلة النابلسي في منطقة العادلية خارج القاهرة في حين كان من المقرر انه في ذلك اليوم سيذهب الى منطقة القصر العيني ومصر القديمة ثم الى قرميدان في القلعة (٦٤).

ثانيا : المجالس العلمية

وتمثل أهم ملامح التواصل العلمي في رحلة النابلسي ، وتتشابه هذه المجالس بالسينمارات العلمية أو الصالونات الأدبية في عصرنا الحالي . وغالبا ما كانت تعقد هذه المجالس في منزل الشيخ زين العابدين البكري المطل على بركة الأزبكية التي طالما تغنى بها النابلسي والف القصائد في وصف جمالها لانها كانت تذكره ببركة الموجه في دمشق من حيث الجمال والاتساع والزخرفة بالرخام وما يحيط بها من اشجار ومناظر طبيعية جميلة(٦٥) وفي أحيانا أخرى كانت تعقد هذه المجالس في منزل النابلسي الذي أعد له الشيخ البكري .

وكان رواد هذه المجالس من كبار علماء الازهر مثل الشيخ منصور المنوفي العزيز شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ محمد الخليل وهو من اشهر علماء بلاد الشام والشيخ على الشنواني الدمرداش الخلوتي ، والشيخ أحمد الخليفي ، والشيخ منصور شيخ رواق المغاربة بالجامع الازهر ، كما ضمت هذه المجالس عددا كبيرا من الطلاب المجاورين

بالازهر وخاصة الشوام منهم بحكم الانتماء الجغرافي للشيخ النابلسي والحرص على مقابلته والتزود من علمه باعتباره اشهر العلماء في بلاد الشام[٦٦]. كذلك كان يفد على هذه المجالس للاجتماع بالنابلسي عددا من علماء الأقاليم وخاصة الأصدقاء منهم مثل الشيخ محمد البدري المعروف بابن الميت الدمياطي الذي حضر من دمياط وبصحبته عددا من العلماء لمقابلة النابلسي . وقد جمعت الرجلان من قبل عدة لقاءات في بيت المقدس ودمشق ثم جمعهما لقاء رابع بعد ذلك في مكة [٦٧] كما وفد على النابلسي أحد قضاة الصعيد وتبادل معه بعض المسائل الفقهية [٦٨] والشريف بركات شريف مكة [٦٩] .

وكان من الطبيعي في ظل هذا التواصل العلمي بين النابلسي وعلماء الأزهر ان تتنوع الموضوعات المطروحة في هذه المجالس من جلسة الى أخرى . فهناك بعض الجلسات التي دارت حول تفسير أيات من القرآن الكريم في حين طرحت في جلسات اخرى بعض القضايا الخلافية مثل قضية الإسراء والمعراج هل هو بالروح أم بالجسد ؟ وهل التوسل بالإنماء والأدب جائز ؟ وقضية خطبة الجمع والاعياد هي تكون باذن من السلطان ام من قاض القضاه ؟ وهي قضية اثارها الشيخ على الصالح المدرس بالازهر ، حين ذكر ان جميع الخطباء في جوامع مصر يخطبون بدون اذن السلطان ، ومعلوم في فقه الحنفية ان اذن السلطان شرط في صحة الخطبة ، ورد عليه النابلسي بأن اذن القاضي المعين من قبل السلطان بمثابة اذن من السلطان نفسه [٧٠] وفي أحيان أخرى كان الحديث يدور حول احد الكتب التاريخية ، أو النقاش حول احد القضايا التاريخية ، ونذكر من ذلك تلك الرواية التاريخية التي سمعها النابلسي والتي تدور حول تمجيد البيت البكري وبأن الشيخ جلال الدين البكري قد عرض علية المماليك في أواخر عهد الدولة المملوكية ان يحكم مصر بعد ثورتهم على السلطان قانصوه الغوري بسبب مظالمه وانهم توسموا في الشيخ جلال الدين البكري الخير نظرا لأنه جده الخليفة ابي بكر الصديق . ولكنه لم يقبل وأوصاهم بالصبر وتستطرد الرواية في إعطاء الشيخ جلال الدين البكري دورا مهما في استيلاء العثمانيين على مصر عندما ذهب هذا الشيخ مع الشيخ ابي السعود الجارجي والشيخ الدشطوطي الى بلاد الشام وجاءوا السلطان سليم الاول الى مصر [٧١] ونجد أن النابلسي لم يعلق على هذه الرواية

وذكرها دون إبداء الرأي فيها ، وربما كان ذلك راجعا الى نزعته الصوفية واهتماماته بالنواحي الدينية اكثر من كونه ناقدا تاريخيا .

وعلى اية حال ، لم يقتصر التواصل العلمي بين النابلسي وعلماء مصر على هذه المجالس ، ولكننا نجد ان النابلسي قد قام من جانبه قبل سفره بزيارة الجامع الأزهر والاجتماع بعلمائه ويصف لنا كيف ان جميع طلبة الأزهر والمجاورين به انكبوا عليه وهم يقبلون يديه ويطلبون منه إعطائهم درسا علميا في رحاب الأزهر والدعاء لهم . وقد غادر النابلسي الازهر في مشهد مهيب ومؤثر بسبب بكاء الطلاب على فراقة مما جعله هو الاخر ينخرط في البكاء ولم ينس بعد خروجه من الازهر التوجه الى زيارة التجار الشوام بخان الحمزاوي وزيارة بعض اقاربه في هذا الخان (٧٢) .

ثالثا : زيارة الأضرحة والمساجد والزوايا :

أولى النابلسي اهتماما كبيرا بزيارة هذه الأماكن ، وخصص لها وقتا كافيا في رحلته، وكان حريصا في أثناء زيارته لها على معرفة تاريخ هذه الأماكن ووصفها وصفا دقيقا مما يدل على شفقة بكل ما يتعلق بها بحكم نزعته الصوفية . فقد زار مرافق السادة المالكية وابدى اعجابة بالمتصوفة الموجودين في هذا المكان من خلال سرد تاريخ عدد من أتباع الإمام مالك ، ثم زار قبر الإمام أبي عبد الله محمد بن احمد مرزوق شارح نهج البردة للأمام البوصيري ، وأثنى في شرحه لها وخاصة الأبيات ذات الإشارات الصوفية ، وفي الوقت ذاته أثنى بشكل أفضل على شرح ابن ابي اللطف المقدس لنهج البردة عندما اطلع عليها في طرابلس (الشام) . كما زار النابلسي قبة الإمام الشافعي ، وأبدى إعجابه بالسفينة التي تعلوها المصنوعة من الخشب المربوطة بهلال ويوضع فيها الحبوب للطيور وانشد فيها أبيات من الشعر (٧٣) .

كما زار النابلسي بعد ذلك مقامات السادة البكرية التي تضم عددا من أعلام هذا البيت ، ثم زار مقام سيدي عمر بن الفارض الذي رحل من حماه بالشام الى مكة ثم الى مصر واستقراره بها حتى وفاته في عام ٦٣٢هـ / م . كما زار مقام سيدي شاهين ،

وسيدي أبي المكارم ، ومقام السلطان ابو العلا في بلاق ، ومقام سيدي ابو السعود الجارحي بمصر القديمة (٧٤).

بالنسبة للمساجد والزوايا فقد زار النابلسي الجامع الأزهر واجتمع بالعلماء والطلاب الدارسين فيه كما ذكرنا ، وزار ايضا مسجد السلطان حسن ، ومسجد عمرو بن العاص وزار أيضا زاوية البكداشية (٧٥) وهي زاوية كبيرة بها عدد كبير من المتصوفة الذين أطلق عليهم النابلسي فقراء الطريق (٧٦).

٢ – مصطفى اسعد اللقيمي الدمياطي :

وهو يمثل نموذج أخر في صور التواصل العلمي بين مصر وبلاد الشام ولد اللقيمي في دمياط في عام ١١٠٥ – ١٦٩٣م ولكنة يرجع بأصل الى القدس وقد أطلق عليه اللقيمي نسبة الى لقيم بالطائف التي عاش فيها أجداده أما نشأته فكانت في كنف أبيه أحمد الذي اصطحبه معه في الحج ، ثم تلقى تعليمه بعد ذلك في مكة والمدينة والقاهرة ودمشق والقدس ، وقد سكن دمشق في الشطر الاخير من حياته وفيها توفى سنة ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م ، واشتهر اللقيمي بمؤلفين احدهما (الطائف انس الخليل في تحايف القدس والخليل) وثانيهما وهو أشهر من الأول تحت عنوان (موانح الانس في رحلتي لوادي القدس) والذي نحن بصدد الحديث عنه ، وهو عبارة عن الرحلة التي بدأها اللقيمي من دمياط الى القدس في شهر ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م واستغرقت حوالي ستة أشهر زار خلالها عدة مدن في جنوب بلاد الشام ثم عاد الى دمياط عن طريق البحر ، ويروي لنا هذا الرحاله انه وصل الى القدس واعجب بسور المدينة وأبوابها الستة ، ثم قصد منزل استاذه الشيخ مصطفى البكري الصديقي الذي كل يجله ، وفي اليوم التالي زار الشيخ محمد الخليل وهو من أشهر علماء الشام كما سبقت الاشاره وقد خصص له استاذه الشيخ البكري خلوة على سطح الصخرة مقابل المدرسة السلطانية وبدأ زيارته للحرم القدسي فزار محل البراق واسطبل سليمان ، والمسجد الأقصى ومحل الصراط وسور المسجد وباقي النوية والرحمة وغير ذلك من الأماكن المقدسة بالحرم التي وصفها لنا وصفا دقيقا(٧٧).

وبعد ذلك ذكر اللقيمية زيارته لمشاهد الانبياء في مدينة الخليل وافاضى في الحديث عن قصص الأنبياء فيها ، ثم يصف لنا سعادته بانخراطه في إحدى الطرق الصوفية وهي الطريقة الخلوية على يد الأستاذ البكري الصديقي .

أما عن اللقاءات التي تمت بينه وبين علماء القدس دعوة الشيخ الخليلي له ، وكذلك دعوة الشيخ البكري له ، واستمر اللقيمي في القدس لمدة ستة أشهر كما ذكرنا قضاها في زيارة الآماكن المقدسة والاختلاط بالعلماء وحدد لنا ستة من هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم وهم مصطفى البكري ، ومحمد الخليلي ، ،احمد المؤقت وعلى الداغستاني ، وأبو بكر العلمي ، وعبد المعطي الخليلي ، وتحدث عن كل واحد منهم وقد غادر بعد ذلك اللقيمي القدس متوجها الى نابلس وبعدها الى دمشق (٧٨).

وتلاحظ ان رحلة اللقيمي تكاد تكون متطابقة في مضمونها مع رحلات النابلسي والبكري من حيث كونها دليلا للزيارات ووصفا للمشاهد ، واخصها الحرم القدسي ، وان كان وصف اللقيمي للحرم القدسي أقل مما وصفه لنا النابلسي ، وقد اعتمد اللقيمي على كل من النابلسي والبكري ، ولكنه اعتمد بشكل خاص على مجير الدين الحنبلي وهو مؤرخ له مكانته حيث اعتمد عليه النابلسي والبكري وكل من كتب عن القدس بعده . وجريا على القاعدة المتبعة في اكثر الرحلات ذكر اللقيمي شيوخه والكتب التي اخذ عنها ومعظمها كما هو واضح من كتب التصوف التي رجحت كفتها على كتب العلم والفقه . كما رجحت كفة المتصوفين على العلماء في هذه الفترة (٧٩).

وبوجه عام تمثل رحلة اللقيمي جانبا أخر من جوانب التواصل بين مصر والشام بعد أن تحدثنا عن رحلة عبد الغني النابلسي الى الشام ومصر والحجاز فيما يعتبر شكل من أشكال التبادل العلمي والثقافي بين العلماء في مصر والشام

والخلاصة ان التواصل العلمي بين العلماء في كل البلدين لم ينقطع طوال العصر العثماني معتمدا بشكل اكبر على التراث الحضاري والفكري والثقافي فضلا عن الجوار الجغرافي وقد ساعد على هذا التواصل وجود المؤسسات الدينية والعلمية في مصر متمثلا في الازهر الشريف الذي كانله الدور الرئيسي في التكوين العلمي للعلماء الشوام وفي عدد من المدارس المصرية التي تعلم فيها درس بها عدد من هؤلاء العلماء المنتمين الى كل

المدن الشامية والمؤسسات الدينية والعلمية في بلاد الشام متمثلة في المسجد الأموي الذي كان يضم لفيفا من علماء المدن الإسلامية وعلى رأسها استنبول وبعداد ومكة والمدينة والقاهرة وطرابلس ويضم بالتالي أجناس مختلفة من كل أرجاء العالم الإسلامي جاءوا ليتعلموا ويعلموا غيرهم من الدارسين ، وكذلك كان لوجود المسجد الأقصى بمكانته الدينية التي كانت تهفوا اليها افئدة العلماء المسلمين المصريين وغيرهم من العلماء في كل أنحاء العالم الإسلامي فضلا عن وجود العديد من المدارس في القدس التي لعبت دورا هاما في التواصل العلمي وجذب العديد من العلماء المصريين الى تلك المدينة المقدسة للزيارة والاستفادة من علمائها . وعلى هذا النحو استمر التواصل العلمي بين القاهرة والإسكندرية وبقية المدن المصرية بالمدن الشامية الكبرى وعلى رأسها دمشق والقدس وحلب ونابلس وصيدا وصور وصفد وغيرها مما أفرز في النهاية عدد من الأسماء اللامعة من العلماء في عدد كبير من المجالات .

الهوامش

١ – السيد سمير عبد المقصود : الشوام في مصر من الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٣ ص ١٧.
٢ – شمس الدين بن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد ، القاهرة ١٩٦٢ ج١ ص ٣٢٥ .
٣ – مرجع سبق ذكره ص ١٨
٤ – على السيد على : القدس في العصر المملوكي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٦ ص ١٢٨ – ١٢٩
٥ – مرجع سبق ذكره ص ١٨
٦ – مرجع سبق ذكره ص ١٤٠
٧ – المرجع نفسه ص ١٤١
٨ – صلاح احمد هريدي : التعليم في مص في القرن الثامن عشر ، دار المعرفة بالإسكندرية ١٩٨٩ ص ٢٧–٢٨ .
٩ – أحمد بن محمد الحموي : فضائل سلاطين بن عثمان ، تحقيق محسن محمد سليم ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ١٩٩٣ ص ١١٤
١٠– المصدر نفسه ص ١٢٠
١١– قانون نامة مصر : تحقيق وتعليق وترجمة أحمد فؤاد متولي.ص٨٦ – ٨٧ ، محمد عفيفي الاوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١ ص ٢٨–٢٩
١٢– محمد ماجد صلاح الدين الحزماوي : الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف وفقرائها في العهد العثماني ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، الجامعة الاردنية ، عمان ٢٠١٠ العدد الرابع ص٧٠.
١٣– المرجع نفسه حتى ٧٤ .
١٤– المرجع نفسه ص ٧٧
١٥– المرجع نفسه ص ٧٨
١٦– سجلات محكمة القدس الشرعية – الوثائق الوقفية والادارية العائدة للحرم القدسي الشريف ج١ منشورات اللجنة الملكية لشئون القدس – عمان ٢٠٠٦ج ١ وثيقة رقم ص ١٨١– ١٨٢ ، ج٢ وثيقة رقم ٣١ ص ٦٥ ، وثيقة ٣٣ ص ٦٨ – ٦٩ .
١٧– ناصر عبد الله عثمان : الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية . سلسلة مصر النهضة ، القاهرة ٢٠٠٦ ص ٥٨ – ٥٩ .
١٨– نيللي حنا : ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية – ترجمة رؤوف عباس ، مكتبة الأسرة ، القاهرة٢٠٠٤ ص ٢١٦.
١٩– محمد بن شرف الدين الخليلي : تاريخ القدس والخليل ، تحقيق محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا السوارية ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن ، توزيع المكتبة الوطنية ، عمان ٢٠٠٤ ص ٤٩ – ٥٦ .
٢٠– السيد خليل المرادي : سلك الدرر في أعماق القرن الاني عشر ، مكتبة المنسي ، بغداد ، د.ت ج٤ ص ٢٦٥
٢١– أبو سالم العياشي : الرحلة العياشية (ماء الموائد) تحقيق سعد زغلول عبد الحميد وآخرون ، منشأة المعارف – الإسكندرية ١٩٩٦ ص ٦٤
٢٢– عبد الله العزباوي الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد مكتبة الاسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة٢٠٠٧

٢٣- عبد العزيز الشناوي : الأزهر جامعا وجامعة ، مكتبة الاسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣
٢٤- ناصر عثمان : مرجع سبق ذكرة ص ٦١-٦٥
٢٥- عبد العزيز الشناوي : ص ٢٠٤ وناصر عثمان مرجع سبق ذكرة ص ١٣٠
٢٦- السيد سمير عبد المقصود : مرجع سبق ذكره ص ١٤٤
٢٧- دار الوثائق الومية : مكمة الباب العالي س ٩٦ ص ١١٥ ، ٧٢٩ ، س ١٩٨ ص ٧٢٣ م ١٩٣٧ س ٢٠٦ ص ١٦٦ م ٣٦٣ ، س ٢٢٧ ص ١٦٣ م ٣١٧ ، محكمة القسمة العسكرية س ٢٣٠ ص ١٢٠م ١٩٤ ، محكمة الصالحية النجمية س ٥٢٧ ص ٣٥٢م ٧٢٦ ، محكمة بولاق س ٧٨ ص ٩٢ م ١٦٨ ، محكمة الاسكندرية س ١١ ص ٢٥١ م ١٠٢٢ ، س ٩٥ ص ٤٨ م ٧٢ ، س ٩٩ ص ٢٥٠ – ٢٥١م ٣٢٠ ، محكمة المحلة الكبرى س ٩ ص ٢٠١م ٣٩٣ ، محكمة دمياط س ٢٣٧ ص ١٨٢ م ٢٣٢ ، س ٢٧١ ص ١٦٣ م ٢١٤ ، س ٢٧٦ ص ١٨٥ م ٢٣٨ .
٢٨- ناصر عثمان : مرجع سبق ذكره ص ١٣٢
٢٩- عثمان بيك القاذدغلي هو أحد كبار بيوت القاذدغلية في القرن الثامن عشر
٣٠- على مبارك : الخطط التوفيقية مركز تحقيق التراث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٤ . ج٤ ص ٥٢
٣١- عبد الله العزباوي : المؤرخون والعلماء في مصر ف القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧ ص ٦٠ ، ٧٤
٣٢- عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ج١ ص ٢٣٤
٣٣- المرجع نفسه ، نفس الصفحة
٣٤- المقصود بالناظر هنا هو المسئول عن مصالح الأزهر وخاصة الآشراف على الأوقاف المخصصه له ، وبالتالي فان وظيفته تختلف عن وظيفة شيخ الأزهر الذي ينتمي لطائفة العلماء .
٣٥- عبد الرحمن الجبرتي ، مصدر سبق ذكره ج٢ ص ٢٣٩ .
٣٦- السيد سمير عبد المقصود ، مرجع سبق ذكره ص ٢٥٦ -٢٥٧
٣٧- دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالي س ١٩٣ ص ٤١٠ م ١٣١٧، محكمة الصالحية النجمية س ٥٢٧ ص ٢٤م ٥٩ ، ص ٢٥م ٦٠
٣٨- السيد سمير عبد المقصود : مرجع سبق ذكره ص ٢٥٧
٣٩- عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ج١ ص ٢٢٦
٤٠- عبد الجواد صابر إسماعيل : مجمع علماء الأزهر في مصر ابان الحكم العثماني ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة١٩٧٨ ص ٦٠٧ .
٤١- عبد الرحمن الجبرتي ، مصدر سبق ذكره ج٢ ص ٧٣ – ٧٦ .
٤٢- المرجع نفسه ج٢ ص ٧٦
٤٣- عبد الله العزباوي : الشوام في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٨٦ ص ١٢
٤٤- صلاح احمد هريدي : مرجع سبق ذكره ص ٣١ ، ٣٩ ، ٥٧
٤٥- يوسف جميل نعيسة : مجتمع مدينة دمشق (١٧٧٢ – ١٨٤٠) ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٦ ط١ ج٢ ص ٣٩٢ – ٣٩٣
٤٦- حسن بن عبد اللطيف الحسيني : تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري ، مطبعة الجامعة الأردنية ، عمان ٢٠١٠ ص ٦٧ – ٧٠
٤٧- المصدر نفسه ص ٧١-٧٧
٤٨- المصدر نفسة ص ١٤-٦٦
٤٩- وثائق مقدسية تاريخية : نشرها كامل العسيلي ، المجلد الثالث . منشورات وزارة الثقافة / عمان ٢٠٠٩ ص ٢١٥ – ٢١٨
٥٠- المصدر نفسه ص ٢١٩ -٢٢٢

٥١- كامل العسلي : بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين ، عمان ١٩٩٢ ص ١٠٠ – ١٠١

٥٢- عبد الغني النابلسي : الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ص ٩ – ١٠ .

٥٣ – كامل جميل العسلي : بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين عمان ١٩٩٢ص ١٠٦

٥٤- عبد الغني النابلسي : الحضرة الانسية في الرحلة القدسية ، تحقيق اكرم حسن العلي . دار المصادر ، بيروت ١٩٩٠ ص ٦

٥٥- عبد الغني النابلسي : الحقيقة والمجاز ص ١٨٠

٥٦- Doris Beiirems – Abouseif : AZBAKIYYA AND ITS ENVIRONS FROM AZBAK TO ISMAIL 1476 – 1879. LE CAIRE1985 . p 53-56

٥٧- النابلسي : الحقيقة والمجاز ص ١٨١ .

٥٨- المصدر نفسيه ، نفس الصفحة

٥٩- المصدر نفسه ، ص ١٨١ ، ٢٠٢ ، ٢٨٣

٦٠- أغا مستحفظان.هو قائد أوجاق مستحفظان (الانكشارية) وبمثابة الشخصية الهامة بين أغاوات الاوجاقات السبعة ، ويستمد كيانة ونفوذه من خلال قيادته لاغاوات الأوجاقات العثمانية ، ومدة شغله لمنصبه غير محددة . وأفراد فرقته مكلفون بحراسة القلاع والحصون ،
Stanford Show : Ottoman Egypt in the age of the French Revolution pp. 189 – 190

٦١- النابلسي : الحقيقة والمجاز ص ٢٨١ – ٢٨٢

٦٢- المصدر نفسه ص ٢٨٢

٦٣- نفسه ص ٢٧٣ ، ٢٩٣

٦٤- نفسه ص ٢٩٣ .

٦٥- نفسه ص ٢٥٩

٦٦- نفسه ص ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢٢٧، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٦٢، ٢٧٦

٦٧- ا نفسه ص ٢٨٧

٦٨- نفسه ص ٢٢٩

٦٩- نفسه ص ٢٥٣

٧٠- نفسه ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٧٢

٧١- نفسه ص ٢٥٣ ، ٢٦١

٧٢- نفسه ص ٢٢٥ – ٢٢٦

٧٣- نفسه ص ١٩٠ – ١٩٤ ، ٢٢٤ ، ٢٥١

٧٤- نفسه ص ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٦

٧٥- زاوية البكداشية أو البكتاشية هي احدى الزوايا الصوفية التابعة للطريقة البكتاشية التي أسسها حاجي بكتاش وهو رجل تركي يعتبر من كبار الدراويش الأتراك ، وهذه الطريقة كانت تقدس الأولياء الصالحين وكانت أكثر انتشارا في البلقان وأسيا الصغرى انظر هاملتون جيب ، وهارولد بووين : المجتمع الاسلامي والغربي ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى : سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ج٢ ص ٣٥٨ – ٣٦٣ .

٧٦- النابلسي ص ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢

٧٧- كامل العسلي : القدس في التاريخ (بيت المقدس في الرحلات عند العرب والمسلمين) منشورات وزارة الثقافة – عمان ٢٠٠٩ ص ١١٥ – ١١٧

٧٨- المرجع نفسه ص ١١٨

٧٩- نفسه ، نفس الصفحة .

المصادر والمراجع

أولا : وثائق غير منشورة

- سجلات المحاكم الشرعية
- محكمة الباب العالي
- محكمة القسمة العسكرية
- محكمة القسمة العربية
- محكمة الصالحية النجمية
- محكمة بولاق

ثانيا : وثائق منشورة

أ – سجلات محكمة القدس (الوثائق الوقفية والادارية العائدة للحرم القدسي الشريف) جزءان . منشورات اللجنة الملكية لشئون القدس عمان ٢٠٠٦

ب – وثائق مقدسية تاريخية : نشرها كامل العسلي في ثلاث مجلدات منشورات وزارة الثقافة ، عمان ٢٠٠٩ .

جـ– قانون نامه مصر الذي أصدره السلطان سليمان القانوني ١٥٢٥م ، تحقيق وترجمة أحمد فؤاد متولي، مكتبة الانجلو ١٩٨٦ .

ثالثا : المصادر المطبوعة :

ابن طولون ، سمى الدين	مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، وزارة الثقافة والارشاد ، القاهرة ١٩٦٢
الحموي ، محمد بن أحمد	فضائل سلاطين بن عثمان تحقيق محسن محمد سليم ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ١٩٩٣ .
الجبرتي ، عبد الرحمن	عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة د. ت .
الخليلي ، محمد بن اشرف الدين	تاريخ القدس والخليل ، تحقيق محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا السوارية ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي لندن ، توزيع الكتبة الوطنية ، عمان ٢٠٠٤ .
العياشي ، أبو سالم	الرحلة العياشية (ماء الموائد) تحقيق سعد زغلول عبد

	الحميد وأخرون ، منشأة المعارف – الاسكندرية ١٩٩٦ .
المرادي ، السيد خليل	سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، مكتبة المثني – بغداد د.ت
النابلسي ، عبد الغني بن اسماعيل	الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز ، تحقيق احمد عبد المجيد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٦ .
عبد اللطيف ، حسن	تراجم اهل القدس في القرن الثاني عشر ، دراسة وتحقيق سلامة صالح النعيمات ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ١٩٨٥

رابعا : المراجع العربية

السيد سمير عبد المقصود	الشوام في مصر من الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة٢٠٠٣
صلاح احمد هريدي	التعليم في مصر في القرن الثامن عشر ، دار المعرفة بالاسكندرية ١٩٨٩
عبد الجواد صابر اسماعيل	مجتمع علماء الأزهر في مصر في العصر العثماني – رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٧٨
عبد العزيز الشناوي	الأزهر جامعا وجامعة ، مكتبة الاسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠١٣
عبد الله العزباوي	الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد ، مكتبة الاسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٧
ـــــــ	المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧
ـــــــ	الشوام في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٨٦ ص ١٢
عراقي يوسف محمد	الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥.
على السيد على	القدس في العصر المملوكي ، دار الفكر للدراسات والنشر

	والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٦
على مبارك	الخطط التوفيقية ج٤ ، مركز تحقيق الذات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧
كامل جميل العسلي	بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين ، عمان ١٩٩٢
محمد عفيفي	الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١
محمد ماجد صلاح الدين الحزماوي	الصره السلطانية لعلماء القدس الشريف وفقرائها في العهد العثماني ، المجلة الاردنية للتاريخ والاثار ، الجامعة الأردنية العدد الرابع – عمان ٢٠١٠
ناصر عبد الله عثمان	الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – سلسلة مصر النهضة – القاهرة ٢٠٠٦
نيللي حنا	ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية ، ترجمة رؤوف عباس ، مكتبة الاسرة ، القاهرة ٢٠٠٤
هاملتون جيب ، هارولد بووين	المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٠
يوسف جميل نعيسة	مجتمع مدينة دمشق (١٧٧٢ – ١٨٤٠) دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٨٦

خامسا: المراجع الأجنبية

Doris Beiirems – Abouseif	AZBAKIYYA AND ITS ENVIRONS FROM AZBAK TO ISMAIL 1476 – 1879. LE CAIRE1985
SHOW Stanford	Ottoman Egypt in the age of the French revolution